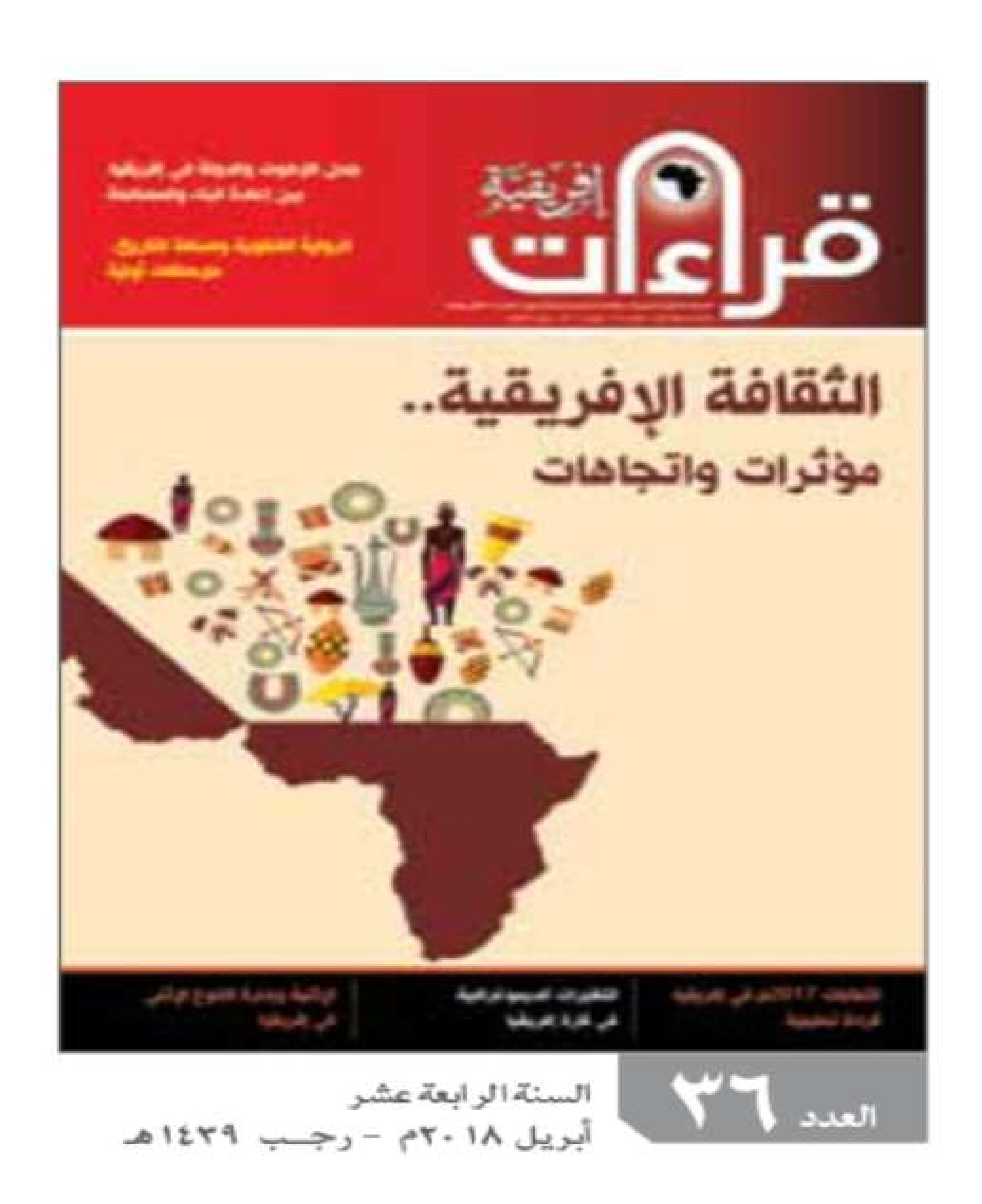


العدد ٣٦

السنة الرابعة عشر

أبريل ٢٠١٨م - رجب ١٤٣٩هـ

قراءات إفريقية
الثقافة الإفريقية.. مؤثرات واتجاهات

العدد ٣٦
السنة الرابعة عشر
أبريل ٢٠١٨م - رجب ١٤٣٩هـ

جدل اللاهوت والدولة في إفريقيا:
بين إعادة البناء والمصالحة



د. محمد عبدالكريم أحمد

باحث مصري بمعهد الدراسات المستقبلية- بيروت

خضع تناول علاقة الكنيسة بالدولة في إفريقيا لمقاربات عديدة، بهدف تفكيك هذه العلاقة، وإعادة تكوينها وفق الرؤى التي انطلق منها أصحابها.

وكانت المحطة الأبرز- في «ثورة» دراسة هذه العلاقة-: استقلال الدول الإفريقية، وبدء ممارسات حركات التحرر الوطني، وتبلوُر «الدولة الوطنية» الإفريقية بالتزامن مع ظهور تيارٍ عالمي، انطلق من أمريكا اللاتينية، حمل اسم «لاهوت التحرير»[1] Liberation Theology، وانتقلت تأثيراته ورؤاه إلى القارة الإفريقية؛ في قراءة تجاهلت- أحياناً- الواقع الإفريقي، وتفهُّم أنّ هدف مشروعٍ لاهوت

(١) لاهوت التحرير: حركة دينية، نمت في النصف الثاني من القرن العشرين، بين أتباع الكاثوليكية الرومانية في أمريكا اللاتينية، وسعت إلى تطبيق الإيمان الديني من خلال مساعدة الفقراء والمقهورين بالمشاركة في الشؤون السياسية والمدنية. وأكدت سمو الوعي «بخطيئة» الأبنية الاجتماعية الاقتصادية التي تسبّب التفاوت الاجتماعي، وضرورة المشاركة الفعالة في تغيير هذه الأبنية. انظر:
Liberation theology, Encyclopedia Britannica - https://www.britannica.com/topic/liberation-theology

التحرير النهائـــي في أمريكا اللاتينية كان «تكوين كنيســـة جديـــدة»، بينما هدف في إفريقيا إلـــى «إصلاح» الكنائس القائمة ورســـالتها، وقام على هـــذا التيار في إفريقيا بعض رجال الدين بالكنائس الاستعمارية نفسها.

وفـــي ثمانينيات القرن العشـــرين؛ ظهـــرت محاولات حثيثة من قِبَل أســـاتذة لاهوت[(١)] وفلسفة (أبرزهم: تشارلز فيلا-فيسنسيـــو Charles Villa-Vicencio، وجيسي موجامبي Jesse Mugambi) لصياغة لاهوت «إعادة بناء الدولـــة» theology of nation-building أو لاهـــوت «إعادة البناء» theology of reconstruction، ولاهوت «المصالحـــة» theology of reconciliation، ليـــس فحسب لتفســـير الظواهر التي أخذت مكانها في إفريقيا- بتأثيرٍ مـــن مناخ إرهاصات ما بعد الحـــرب الباردة وموجة التحـــول الديمقراطي فيما بعد- بل لوضع نظريات للتحرك المستقبلي للكنيسة والدولة الإفريقية وعلاقتهما معاً.

أولاً: خلفية تاريخية:

ارتبط التبشـــير بالمســـيحية في إفريقيـــا- تاريخيّاً- بالاســـتعمار الأوروبي ارتباطاً عضويّـــاً، وبرغم تباين وتعدّد أهداف الإرســـاليات التبشيرية، واتســـاع الرقعة الجغرافية التـــي غطّتها، فإنه يمكـــن القول: إنّ المهمّة الرئيســـة لها تجسّـــدت في دعم نُظُم الحكم الاستعمارية، والمساعدة في تكوين «نخبة إفريقية» تشـــارك في الحكـــم أو تقدّم ظهيراً اجتماعيّاً لتيسير السيطرة على إفريقيا.

وكان «مجمع الفاتيكان الثانـــي» Second Vatican Council (Vatican II)، الـــذي دعَـــا لـــه البابا يوحنا الثالث والعشـــرين في ٢٥ ينايـــر ١٩٥٩م (وانعقد فعلاً في الفترة ١٩٦٢-١٩٦٥م)، علامةً فارقةً في محاولات الكنيسة الكاثوليكية- ذات الباع الأكبر في إفريقيا- توفيق أوضاعها وتصـــوُّر الأفارقة لها هناك، وأكد المجمـــع عالمية الدعوة المســـيحية، وعدم اقتصارها على الغـــرب، ودعَا المجمع إلى الانفتاح على الثقافات الإفريقية والآســـيوية، والحاجة إلى نظام اجتماعيٍّ أكثر عدالة ومســـاواة[(٢)]، كما تبنّى فكرة المصالحـــة reconciliation، خاصّة مع اليهود، وبدرجة أقلّ مع المســـلمين، وزاد تبنّي الفكرة من انتشـــار الكنيسة بشـــكلٍ ملاحظ في إفريقيا وأجزاء من آســـيا[(٣)]، وســـاهم في ذلك أيضاً انفتاح «مجمـــع الفاتيكان الثاني» على جميع الثقافات لســـماع صوتها داخل الكنيســـة- حســـبما أكدت وثائق المجمع- لأجل إثراء المســـيحية، وشمل ذلك مسألة تعدُّد الزوجات في الثقافة الإفريقية والإسلامية، وما أطلق عليه البابا بول الســـادس (عقب تشجيع تولي الأفارقة قيادة الإرســـاليات): «وجوب تطوير مســـيحية إفريقية؛ تأخذ في اعتبارها القيم الموجودة في الثقافات الإفريقية»[(٤)].



إنّ كثيرين رأوا حاجة إفريقيا إلى عدم اتباع النماذج الدينية للعالم الأول، وأنها تحتاج إلى اتباع نماذجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

---

(١) في تعريف أستاذ اللاهوت بكلية جون جيمس John James College د. ب. ديفـز لـلاهـوت Theology (وهو مصطلح يعني- باختصار-: كلّ ما يخصّ الذات الإلهية، أي كلّ ما يرتبط بالله)، اعتبر أنّ مهمته الأساسية هي الوعي الإنساني بالمقدّس، وتفسير وصياغة هذه التجربة. ورأى العديد من علماء اللاهوت أنّ نقطة البدء في هذا الفهم هي تعريف المقدّس (أنّ الربّ هو خالق الكون، وأنه أب للسيد يسوع المسيح، وهو ثالوث: الأب والابن والروح القدس)، ومن ثَمّ؛ فإنّ الوعي الإنساني بالربّ مستقى من هذا الإطار «المتفق عليه». انظر:
Davies, D.P. Who does Theology? - Transformation, Vol. 25, No. 2/3 (April & July 2008), p.74.

(٢) Kristopher W. Seaman, Why Did the Second Vatican Council Occur?, Pastoral Liturgy magazine, January/February 2013, www.PastoralLiturgy.org.

(٣) O'Malley, John W. Opening the Church to the World, the New York Times, October 10, 2012 http://www.nytimes.com/2012/10/11/opinion/vatican-ii-opened-the-church-to-the-world.html

(٤) Bénézet Bujo, Vatican II and the Challenge

وهكذا كانت القارة الإفريقية هي الساحة التي تأثرت بنتائج «مجمع الفاتيكان الثاني» أكثر من غيرها، فقد رافقت أهمّ القيم التي دعَا لها المجمع (تحت لافتة رئيسة، وهي: الحوار مع الديانات والثقافات الأخرى، وحقّ الخلاص للجميع) كالمحلية والتعددية، والاعتراف بالقيم الإيجابية للثقافات المختلفة، حتى التقاليد الدينية الأخرى، والتقارب المسكوني (العالمي)، مع موجة الرجوع إلى القيم السياسية والثقافية الإفريقية بالقارة السمراء منذ أوائل الستينيات، ومع تفكك الاستعمار، وسيادة أفكار ضرورة التعاون والوحدة لتجاوز التقسيمات القبلية والعِرْقية والدينية[١].

ثانياً: مرحلة تطور مفهوم اللاهوت في إفريقيا ما بعد الاستعمار الغربي:

وظلّت مدرسة التثاقف المسيحي[٢] Inculturation (وتعني تطويع المسيحية لملائمة البيئة التي يتم التبشير بها فيها، كالصين أو إفريقيا أو غيرهما، وكذلك تأثير البيئات الثقافية في هذه الدول على المسيحية وإكسابها خصوصية مميزة عن السمة الأوروبية، واستخدم البروتستانت لاحقاً مصطلحاً بديلاً، وهو «اللاهوت السياقي»[٣] contextual theology) في إفريقيا ما بعد الاستعمار حتى بعد خمسينيات وستينيات القرن الماضي، عبر التمسك برؤى إرسالية أكثر تعاطفاً مع الدين والثقافة التقليدية والعديد من الأصوات الإفريقية التي احتجّت على «الإفقار البشري» الذي عزّزه المشروع الاستعماري (وهو ما تمثّل في مساعي بعض رجال الدين الأفارقة في الاستعانة بمصادر ثقافية وأدبية وروحية وفنية إفريقية؛ لمواجهة هذا الافقار الذي أدى إليه اللاهوت الاستعماري أو اللاهوت الأبيض).

كما عكس «التثاقف المسيحي» السخط الإفريقي إزاء اللاهوت الإرسالي الذي قبل الوضع الاستعماري القائم دون نقد. وانتشرت هذه الحركة بوجه خاصٍّ في إفريقيا الناطقة بالفرنسية- حيث سادت الكاثوليكية الرومانية-، وبرزت في أعمال المبشر الفرنسيسكاني بلاسيد تمبلز Placide Temples، ورجل الدين الكونغولي فينسنت مولاجو V. Mulago، والمفكر الرواندي الكبير أليكسس كاجامي Alexis Kagame. ودفع علماء بروتستانت ناطقون بالإنجليزية، مثل هاري سويير H. Sawyerr وجون مبيتي J. Mbiti، بقوة في هذا الاتجاه منذ الستينيات، وقاموا بتنظير مكوّنات «الدين التقليدي الإفريقي»، ثم قابلوها بمقدمات في الدين المسيحي (كالمعجزات).

وجسّد «التثاقف المسيحي»- في رأي البعض- آمال قيام إفريقيا في فترة ما بعد الاستعمار مباشرةً بتأصيل «الدين الغربي» محليّاً، ووضع مستقبل سياسيٍّ جديد مستقل عن القوى الأوروبية المهيمنة في السابق، ومن أبرز تجسيدات هذه المدرسة: فكرة «الزنوجة» التي دافع عنها بقوة ليوبولد سنجور Leopold Senghor[٤].

---

of Marriage and Family in Africa, unpublished paper, p.13.

(١) Agbonkhianmeghe E. Orobator, «After All, Africa is Largely a Nonliterate Continent»: The Reception of Vatican II in Africa, Theological Studies, Vol. 74, No. 2 (June 2013), p.285.

(٢) المعنى المبسّط لمفهوم التثاقف: هو تبنّي الطقوس الدينية المسيحية في ثقافات غير مسيحية أساساً. وهو مصطلح حديث نسبيّاً، غير أنّ فكرته قديمة بطبيعة الحال. وقد أدخله الجزويت Jesuits (اليسوعيون) الذين عملوا على نشر المسيحية وفق هذا المفهوم منذ البداية، ونجحوا في ذلك إلى حدٍّ كبير، ويلاحظ أنّ ذلك لم يكن مصحوباً بدعم التعدد الثقافي. وقبلت فكرة «التثاقف» بين الإرساليات المختلفة بشكل واضح منذ نهاية ق١٩؛ مع الإقرار بأنّ لكلّ مجتمعٍ ثقافته، والتي تقوم بمقام نظام متكامل من الافتراضات والممارسات والرموز. انظر:
Stanley, Brian, Inculturation: Historical - Background, Theological Foundations and Contemporary Questions, Transformation, Vol. 24, No. 1 (January 2007), p.22.

(٣) تقوم فكرته على فعل اللاهوت بالتحاور مع حقيقتين، وهما: تجربة الماضي؛ المسجلة في الكتاب المقدّس والتقاليد الكنسية- من جهة. وتجربة الحاضر؛ أو السياق الذي يعيش فيه رجال الدين المسيحيون بالفعل. وشهد هذا اللاهوت تطوراً ملموساً في جنوب إفريقيا تحديداً؛ في مواجهة الكنيسة الهولندية المستصلحة التي تبنّت ما يصفه البعض بلاهوت «الفصل العنصري» (الأبارتهيد)، راجع:
Loubser, J. A. Apartheid Theology: A - «Contextual» Theology Gone Wrong? Journal of Church and State, Vol. 38, No. 2 (Spring 1996), pp.333-4.

(٤) Carney, J. J. Roads to Reconciliation: an

مفهوم «لاهوت التحرير»:

وتصاعد تيار «لاهوت التحرير» أو «اللاهوت الأسود» في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين كبديل للتثاقف المسيحي، وحقّق انتشاراً كبيراً في جنوب إفريقيا على وجه الخصوص؛ بحكم تجربتها العنصرية وسيادة لاهوت «الانتقاء الأفريكانري». وإذا كان «لاهوت التثاقف» معنيّاً بالماضي المثالي؛ فإنّ «لاهوت التحرير» ركّز على الحاضر القمعي للفقر وتبعية الاستعمار الجديد، وقمع الدولة، والعنصرية البنيوية المتوغلة في أبنية الدولة.

وهكذا انطلق «لاهوت التحرير» من انحياز المسيحية للفقراء والمهمّشين، وعلى حدّ وصف ديزموند توتو Desmond Tutu: فإنّ لاهوت التحرير كان «صرخة من رحم محنة معاناة الإنسان، والدعوة للتوكيد على الإنسانية الأساسية للضحية»، وكانت مهمة «لاهوت التحرير»– على حدّ قول إلا Ela– هي: إعادة تأهيل «الجموع المهمّشة»، وتحرير «الكنيسة التابعة بين الشعوب المقهورة».

وشهدت بداية التسعينيات تراجع «لاهوت التحرير» مع انهيار الفصل العنصري في جنوب إفريقيا وشيوعية الاتحاد السوفييتي، وهو ما صاحبه انتقادات وتوكيدات جديدة في نطاق «لاهوت التحرير»، وكان الانتقاد الرئيس للاهوت التحرير: أنه لم يعد ملائماً لمرحلة «إعادة البناء» فيما بعد الصراع، وانتقد بعض دعاة لاهوت التحرير (مثل توتو) فشل هذا اللاهوت في معرفة الترابط المشترك interconnectedness بين جميع البشر سواء ضحايا أم جناة؛ ونتيجة لذلك صاغ رجال دين (كالجنوب إفريقي تشارلز فيلا-فيسنسيو، والكيني جيسي موجامبي) نموذجاً جديداً لإعادة البناء؛ كأساس لتفعيل اللاهوت الإفريقي طوال تسعينيات القرن العشرين[(١)].

٢- مفهوم «لاهوت إعادة البناء» في إفريقيا:

تجدر إشارةٌ مبدئية إلى أنّ مفهوم «إعادة البناء» ليس دخيلاً على قضايا علاقات الدين بالدولة، كما أنه ليس نتاجاً لمراحل نهاية الحرب الباردة وإعادة بناء الدولة الإفريقية والتحول الديمقراطي في ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن العشرين. وقد أشار هنري تشرشل كينج H. Churchil King– الذي أصدر في ١٩٠١م كتاباً مهمّاً بعنوان Reconstruction in Theology- إلى نزعة إعادة بناء المسيحية في نهاية ق١٩ كمرادف للنزعة الإصلاحية، وأنّ هذه العملية لا تعني بالضرورة رفض تعاليم الدين المسيحي أو السخط منها، بل إنها ترمي إلى مراجعة «تفهمنا الفكري/الثقافي لمعنى الدين»[(٢)].

وظهر «لاهوت إعادة البناء» (إفريقيّاً) في جنوب إفريقيا؛ وسط دعوات رجال الدين المحليّين أو الأوروبيين والأمريكيين بعدم الاستمرار في الاستقطاب بين «اللاهوت السياسي» لجنوب إفريقيا وما أُطلق عليه «اللاهوت الثقافي» في بقية القارة الإفريقية، في إشارة واضحة لاستمرار «لاهوت التحرير» الراديكالي في نضال شعب جنوب إفريقيا نحو الديمقراطية، وهيمنة «التثاقف المسيحي» في أجزاء متفرقة من القارة الإفريقية.

وكان أحد التطورات اللافتة في التسعينيات ظهور حوار لاهوتي، شارك فيه هذان التياران، بتطوير ما عُرف بـ«لاهوت إعادة البناء»؛ لمعالجة الحقائق المعقدة في الوجود الإفريقي. وكان من رواد هذا التيار «ديزموند توتو» الذي دعَا منذ منتصف الثمانينيات إلى احتواء «اللاهوت الأسود» و«اللاهوت الإفريقي» باعتبارهما «توأمَي روح»، وأنّ «اللاهوت الأسود» هو الدائرة الداخلية والأصغر داخل «اللاهوت الإفريقي».

وشهد «لاهوت إعادة البناء» دفعةً أكبر في عهد «تابو مبيكي»، وفي سياق سعيه «لنهضة إفريقية» لا تستمد أسسها من أيديولوجية الهندسة الاجتماعية (التي تقوم باختصار باستعمال التخطيط المركزي؛ في محاولة توجيه التغيّر الاجتماعي وتنظيم التطور والسلوك المستقبلي لمجتمع ما)، ولكن من رؤية الغاني جيمس كويجير أجري J. Kwegyir Aggrey للشخصية الإفريقية وسماتها العظيمة[(٣)].

---

(١) Carney, J. J. Roads to Reconciliation: an Emerging Paradigm of African Theology, Op. Cit. p.551.

Emerging Paradigm of African Theology, Modern Theology, Vol. 26, No. 4 (October 2010), p.550.

(٢) King, Henry Churchill, Reconstruction in Theology, The American Journal of Theology, Vol. 3, No. 2 (Apr., 1899), pp.295-323.

(٣) Bediako, Kwame, Africa and Christianity on

ووصف تشارلز فيلا-فيسنسيو «لاهوت إعادة البناء»[1] بأنه: «ذلك اللاهوت الذي يُدين جميع صور الاستغلال، ويؤكد في الوقت نفسه أهمية عملية بناء الدولة في مجتمع ديمقراطي، عندما ترتبط بتغيّرات سياسية وسوسيو-اقتصادية وثقافية هامّة، كحقّ التصويت لكلّ فرد، والعدالة الاقتصادية، والتجديد الإيكولوجي، وحساسية الجندر، وما إلى ذلك».

ويتعلق «لاهوت إعادة البناء» بالكنائس التي تتضامن جديّاً مع أية حكومة منتخبة ديمقراطيّاً، وأنه لا يمكن للكنائس والمنظمات الدينية أن تنغلق على نفسها وأن تدع السياسيّين يقومون بمفردهم بالعملية السياسية، أو أن تواصل نقد الدولة ومقاومتها وتقدّم مطالب غير واقعية أو طوباوية، بل إنه على الكنيسة- وفق لاهوت إعادة البناء- أن تكون ناقدةً من داخل سياق التضامن والدعم لما هو جيد ويستحق التقدير في برامج الحكومة[2].

وخرجت فكرة «لاهوت إعادة البناء» لدى فيلا-فيسنسيو في وقت: بين الإفراج عن نيلسون مانديلا (١٩٩٠م) والانتقال الديمقراطي في جنوب إفريقيا (أبريل ١٩٩٤م)، وأكد فيلا- فيسنسيو أنّ «رياح التغيير تضرب في أرجاء العالم، وتُحدث أزمات سياسية في أوروبا والاتحاد السوفييتي وجنوب إفريقيا، مما يمثّل تحدياً للاهوت»، واعتبر أنّ ما يحدث في جنوب إفريقيا يشير إلى وجوب النظر للاهوت إعادة بناء الدولة- بجديةٍ تامّة- على أنه لاهوتٌ يدعم ويعزّز الديمقراطية على مستويات المجتمع كلها.

وينطلق «لاهوت إعادة البناء» من فرضية: أنّ الطريقة الأفضل والأكثر فعالية لضمان حقوق الإنسان، وتعزيز التخلص من العنصرية والنزعة الجنسية والطبقية في المجتمع، هي تمكين المشاركة الكاملة والشاملة من الأفراد من جميع الأجناس، والنوع، والطبقات في جميع مناحي المجتمع.

واهتم كورنيل ويست Cornel West بتعزيز ما أطلق عليه «ثقافة إيمرسونية» Emersonian culture (نسبة للأمريكي رالف إيمرسون الذي أكد أهمية النزعة الفردية في المجتمع) للديمقراطية الراديكالية في أمريكا، وهو اللاهوت الذي يُلزم الكنيسة بنشره في إفريقيا وداخل أبنيتها أيضاً، ومن أجل اكتساب الكنيسة أصالة في نشر هذه الرسالة؛ فإنها ملزمة بدمقرطة أبنيتها[3].

ولاحظ مراقبون أنه: عندما شاركت الكنائس والهيئات التابعة لها في حملات التحول الديمقراطي في إفريقيا فإنها قامت بذلك دون رؤية نقدية مهمّة؛ حيث وفرت المخصصات المالية لها من خلال شركاء (أو مانحين) في أوروبا وأمريكا الشمالية، والذين حصلوا بدورهم على مخصصات مالية من حكوماتهم أو هيئات شبه حكومية/دولية. وبالرغم من اهتمام الكنائس بالرفاهية الاجتماعية والاقتصادية، لشعبها على وجه الخصوص، ولعامّة الناس، فإنّ التورط المباشر لقادة الكنائس في التعليم المدني ومراقبة الانتخابات قدّم انطباعاً بتدخل الكنيسة في السياسة، ومن ثَمّ أصبحت الكنائس في بعض الحالات عوامل للصراع وليس للتوفيق[4].

وكان جيسي موجامبي- أستاذ الفلسفة والأديان بجامعة نيروبي- شريكاً لفيلا فيسنسيو في صياغة أفكار

the Threshold of the Third Millennium: The Religious Dimension, African Affairs, Vol. 99, No. 395, Centenary Issue: A Hundred Years of Africa (Apr., 2000), p.312.

(١) لفيلا-فيسنسيو كتاب شهير بعنوان: A Theology of Reconstruction: Nation-Building and Human Rights، صادر في ١٩٩٢م، وركز فيه على الارتباط والتعارض بين اللاهوت- من جهة-؛ وكتابة الدستور وصنع القوانين وحقوق الإنسان والاقتصاد وحرية الوعي والاعتقاد- من جهة أخرى- في سياق تجربة جنوب إفريقيا.

(٢) Kuperus, Tracy, Building Democracy: An Examination of Religious Associations in South Africa and Zimbabwe, The Journal of Modern African Studies, Vol. 37, No. 4 (Dec., 1999), pp.657-8.

(٣) Villa-Vicencio, Charles, Towards a Theology of Nation-Building: Church and State in Africa Today, Journal of Church and State, Vol. 32, No. 4 (AUTUMN 1990), p.866.

(٤) Mugambi, Jesse and Mugambi, J.N.K. African Churches in Social Transformation, Journal of International Affairs, Vol. 50, No. 1, Religion: Politics, Power and Symbolism (Summer 1996), p.196.

«لاهوت إعادة البناء»، وقام مفهومه (الذي طرحه في مارس ١٩٩٠م أمام اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس عموم إفريقيا AACC، المنعقـد في نيروبي اسـتعداداً لأعمال المؤتمر في ١٩٩١م) على الاسـتفادة من مجالين: وهما الهندسـة وعلـم الاجتماع، ووصف إعادة البناء من منظور الهندسـة بأنه: فعل بنـاء- أو تعديل بناء ما- وفقاً لمواصفات معيّنة، مـن تصميمات متاحـة أو جديدة، لضمـان أدائه وظائف معيّنـة. وتكون إعادة البنـاء مطلوبةً عندمـا يصبح البناء القائم معطوباً. واسـتعار من منظـور علم الاجتماع وصف بيتر برجر P. Berger وتوماس لوكمان T. Luckmann لإعادة البنـاء الاجتماعي بأنه: «إعادة تنظيم لبعض جوانب مجتمع ما لجعله أكثر اسـتجابةً للظروف المتغيّرة». وهكذا رأى موجامبـي أنّ للدين دوراً مهمّاً في إعادة بناء المجتمع؛ بعد مرحلة استخدامه أداةً لعملية استعمار إفريقيا والقضاء على ثقافاتها، وأنّ له اليد الطولى في إحداث تغيير سـريع في إفريقيا ما بعد الاسـتعمار. وإن كان موجامبي لم يوضح كيفية التطبيق العملي للاهـوت إعادة البناء[1]، أو يردّ على انتقادات وُجّهت له بسـطحية الفكرة وتجريديتها المفرطة في مواجهة واقع سلطوية الدولة الوطنية!

٣- مفهوم «لاهوت المصالحة»:

طُرح «لاهوت إعادة البناء» ثمّ «المصالحة» بشكلٍ عمليٍّ في سـياق تجربة جنوب إفريقيا قبـل الانتقال إلى النظام التعددي (١٩٩٤م)، وإن كانت الفكرة نفسها- كما وضعها في البداية فيلا-فيسنسيو وموجامبي- قد أخذت في اعتبارها تجارب من أوروبا الشـرقية ونيكاراجـوا، وانتقلت بطبيعة الحال إلى الكثير من الدول الإفريقية[2].

وفـي مزج بين النزعة الدينية والتفسـير الماركسـي للتاريـخ؛ اعتبرَ أنصار «لاهوت التحرير»- الذين تبنّوا لاحقاً «لاهوت المصالحة»- أنّ خروج النبي موسى -عليه السلام- من مصر شـكّل عملاً سياسـيّاً بامتياز لقيادته شعبه إلى مجتمـع أفضل مما كانوا يعرفونه، وأنّ الخروج يُلهم النضال الحالي، وأنّ تحرُّر بني إسـرائيل جاء نتيجةً لصراع طبقيٍّ عنيف بين المصريّين الأقوياء والإسرائيليين المستضعفين، كما أنّ التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسـي جزءٌ من عملية انعتاق «الشعب». وفي مراجعة لهذا التصوّر صاغ فريقٌ من أنصار «لاهوت التحرير» «لاهوت المصالحة» الذي تبنّاه بقوة ديزموند توتو (أحد قادة عملية «الحقيقة والمصالحة» بجنوب إفريقيا عشـية التحول الديمقراطي)، وكانت فكرته الأساسية: وضع الكنيسة وسط الاحتياجات البشرية عاملاً في المصالحة بين الأعراق المختلفة. كما أنها رفضٌ لفرض قصور أو محدودية على رسـالة الكتاب المقدّس، وأنّ تطلع الكنيسـة لعالم أفضل يجب أن يتحقـق بدفعها للعمل على تغييـر الأبنية الاجتماعية الحالية، لتكون أقرب ما يمكن من الهدف الأُخـروي، وبعبارة أخرى: فإنّ الوعي الأُخروي ليس تابعاً للمسـؤولية الاجتماعية فـي الحاضر، بل العكس هو الصحيح[3].

واعتبر موجامبي أنّ تفسير «لاهوت التحرير» للخروج- في العهد القديم- لم يعد يلائم السياق الاجتماعي لإفريقيا ما بعد الاسـتعمار وما بعد الفصل العنصـري، ورأى (في سـياق لا تاريخي) أنّ مجاز الخروج metaphor بعد إلغاء الفصل العنصري لا يمكن تطبيقه تماماً، وأنه لم يعد ذا صلة بإفريقيا، وأنّ هذا المجاز- بالنسـبة لأغلب دول إفريقيا- طُبّـق أكثر من اللازم، وربما كان يجـب تغييره عند إعلان استقلالها وخلال مرحلة التخلص من الاستعمار، وأنّ الوعد بتحقيق التقدّم (الـذي رفعه لاهوت التحرير) أصبح خياليّاً

(١) J. Njoroge wa Ngugi, The Doctrine of Creation in The Catechism of The Catholic Church as a Basis For Catechesis in Post-colonial Africa, A DISSERTATION Submitted to the Faculty of the Department of Religion and Religious Education School of Religious Studies Of The Catholic University of America In Partial Fulfillment of the Requirements For the Degree Doctor of Philosophy, Washington, D.C, 2000, pp.72-3.

(٢) J. Njoroge wa Ngugi, The Doctrine of Creation in The Catechism of The Catholic Church as a Basis For Catechesis in Post-colonial Africa, Op. Cit. p. 81.

(٣) Ndlovu, Trust J. the Church as an Agent of Reconciliation in the Thought of Desmond Tutu, A Dissertation Presented in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Doctor of Theology, Andrews University, 1999, pp.185-187.

ومثالاً يراد تحقيقه، وأنّ تصور الخروج و«أرض الميعاد» في فترة ما بعد الاستقلال بإفريقيا حظي بدعم سياسيٍّ من الاتحاد السوفييتي. وأكد موجامبي أنه عند بدء انكماش النفوذ السوفييتي في إفريقيا وظهور دلائل تحرر جنوب إفريقيا (في نهاية الثمانينيات) احتاج الأفارقة إلى لاهوت آخر آكثر صلةً بواقعهم(١)، وهو ما اعتبره كثيرون تكريساً للهيمنة الغربية.

وكان تركيز الكنائس على المصالحة والحقوق راجعاً لمجموعة معقدة من الأسباب الداخلية والخارجية، فقد لاقت الكنائس في جنوب إفريقيا- مثلاً- تشجيعاً للمشاركة الفعالة في عملية بناء الدولة، ولكن في صورة خاضعة لرؤية القيادة السياسية، ولاقت تشجيعاً عقب ١٩٩٤م للمشاركة في معركة «التحول الأخلاقي للمجتمع الجنوب إفريقي، والتوصل لتحالف بين القيم الدينية والقيم السياسية لإعادة البناء»، وقد أصبح التحول الأخلاقي وحقوق الإنسان وأفكار المصالحة مجالَ العمل الأساسيّ للكنائس كما حددته المؤسسة السياسية، وأوضح ذلك كتيّبٌ نشرته مفوضية الشؤون الدينية بالمؤتمر الوطني الإفريقي الحاكم عقب سقوط العنصرية، وتناول دَوْر الدين المهمّ للانتقال من مجتمع يفتقر للأخلاق إلى مجتمع عادل لديه قيمٌ أخلاقيةٌ أساسيةٌ، ووجوب ألا تقتصر القيمُ الدينية على المؤسسات الدينية، لكن يجب أن تكون جزءاً من عملية شاملة لإعادة البناء في جنوب إفريقيا بعد الفصل العنصري(٢).

وبينما جسّد «لاهوت المصالحة»- بالتآزر مع لاهوت إعادة البناء- الدَوْر المحوريّ للكنائس المسيحية، في الموجة الثانية من التحول الديمقراطي الإفريقي، فإنّ الأول تلاشى سريعاً في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين، واستمر الثاني فاعلاً نسبيّاً.

وأرجع عددٌ كبيرٌ من نقاد لاهوتَيّ «المصالحة» و«إعادة البناء» هذا التراجع إلى أوجه قصور بهما، ومنها أنّ الأول لم يتناول- بشكل مباشر- كيف يمكن أن يصبح الأعداء السابقون شركاء في نفس الحياة (وهو ما تفسّره تجربة جنوب إفريقيا بعد قرابة ٢٥ عاماً من التحول الديمقراطي، واستمرار قضايا خطيرة تهدّد بناء الدولة دون علاج)، وفضّل التركيز على الأبعاد الإجرائية لبناء الدولة. كما أنّ رؤيتهما المتفائلة لتعاون الكنيسة والدولة انهار؛ في ضوء استمرار طغيان الدولة في إفريقيا فيما بعد الحرب الباردة، كما في ليبيريا في عهد تشارلز تايلور، وزيمبابوي في عهد روبرت موجابي، حتى في ديمقراطية كجنوب إفريقيا؛ فإنّ إعادة البناء أدّت إلى مزيد من تهميش الجماعة المسيحية داخل نظام الحكم الليبيرالي، وحَصْر دَوْر الكنيسة في مجرد منظمة ضغط تدافع عن أفكارٍ عامّة كالعدالة والحقوق.

وأخيراً: فإنّ أغلب أنصار «إعادة البناء» لم يكونوا ناقدين للدولة، ولم يميلوا أبداً لفكرة ضرورة أن تكون للكنيسة سياسةٌ مميزة مستقلة عن الدولة الحديثة أو مصحّحة لسياساتها(٣).

ثالثاً: واقع إفريقيا مع التجارب اللاهوتية: عوامل داخلية وتأثيرات خارجية:

في ضوء الرؤية العالمية البنتيكوستال (الخمسينية)؛ فإنّ الديمقراطية والمسيحية يرتبطان معاً كنقيض لنُظُم الحكم العسكرية والاستبدادية، ويوجد التقسيم نفسه داخل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لكن بشكلٍ أقلّ راديكالية، ومثلاً: فقد كان الموضوع الأساسي خلال النصف الثاني من عقد التسعينيات لخطابات الرعاة من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في بنين هو العلاقة بين المسيحية والديمقراطية(٤).

ويمكن تلمّس ملامح تجربة لاهوتَي «إعادة البناء» و«المصالحة» على المستوى الوطني في إفريقيا من خلال الحالات الآتية:

(١) J. Njoroge wa Ngugi, The Doctrine of Creation in The Catechism of The Catholic Church as a Basis For Catechesis in Post-colonial Africa, Op. Cit. p. 65.

(٢) Bompani, Barbara, ‹Mandela Mania›: Mainline Churches in Post-Apartheid South Africa, Third World Quarterly, Vol. 27, No. 6 (2006), pp.1143-4.

(٣) Carney, J. J. Roads to Reconciliation, Op. Cit. p.552.

(٤) Strandsbjerg, Camilla, Kérékou, God and the Ancestors: Religion and the Conception of Political Power in Benin, African Affairs, Vol. 99, No. 396 (Jul., 2000), p. 403.E`S12----1 Qqq.

الكونغو:

بعـــد أكثر من ثلاثين عاماً من الســـعي الكونغولي وراء هويّـــة وطنية، وتحطم أفكار الماركســـية والموبوتوية، تمثّل التحدي السياســـي الذي واجـــه السياســـيّين الكونغوليّين عشـــية موجة التحول الديمقراطي فـــي إفريقيا في: إيجاد تاريخ يكون ملهماً بشـــكلٍ كافٍ للمساعدة في تقديم مبادئ وقيمٍ أيديولوجية بنّاءة. ونتيجـــةً لذلك؛ ظهر الدين بوصفه أداةً لمساعدة السياسيّين في نشر الأيديولوجيا بين السكان لتيســـير عملية حكم الكونغو بإثنياته المتنوعة. وكما أشـــار الكاتب المســـرحي بيوس نجاندو نكاشاماPius Nganda Nkashama؛ فإنـــه بينمـــا كان الخطـــاب الغربـــي حول إفريقيا- ولاســـيما إفريقيا الناطقة بالفرنســـية- في حالة انســـداد؛ فإنّ اللغات المتوازية التي رافقت التفكير الديني (فـــي الكونغو) قـــد أصبحت مجالات محددة لممارســـات تدعم النزعة الوطنية[(١)]؛ في إشارةٍ إلى مقدمات الموبوتوية Mobutism وما بعدها.

كما كانت الكنيســـة الكاثوليكية (المسؤولة عن التعليم منذ عهـــد الملك ليوبولد الثاني، والتي دعمت دور شـــركة بلجيكا العامـــة Societe-Generale de Belgique في الســـيطرة على الموارد وأنشطة اســـتخراجها في الكونغو، ومثّلـــت لنظام ليوبولـــد رمزاً للاســـتقرار وتعزيز المصالح الاقتصاديـــة البلجيكية في الكونغو[(٢)]) آخـــذةً في التعافي وصعود دَوْرها في الدولة الكونغولية بعد فترة الســـبعينيات والثمانينيات التي اتسمت بقوة النزعة الموبوتوية.

وبدأت في منطقتـــي كيفو Kivu (في الكونغو ورواندا المجاورة) بالاضطلاع بـــدَوْرٍ أكبر على الصعيد الاجتماعي والسياسي، وتمكّنت الكنيسة من ذلك بفضل تعويضها غياب الدولـــة الملموس في هاتَيْن المنطقتَيْـــن، خاصّةً في بداية تســـعينيات القرن العشـــرين. وعزّز دَوْرَ الكنيسة امتلاكها مســـاحات شاســـعة من الأراضي وفّرت لهـــا مصدر دخلٍ مرتفـــع، كما وفّـــرت مزارعها فرص عمل كثيرة للســـكان- ســـواء المهرة أو نصف المهرة-، وقدّمت الكنيســـة للسكان الخدمات الفنية، كالاتصالات اللاسلكية (بما فيها الإذاعة)، والصيانـــة الميكانيكية للمعـــدات الزراعية وما شـــابهها، والخدمات الطبية، وحقّقت الكنيسة نجاحاً كبيراً في تسيير جامعة بوكافو Bukavu وكلية تدريب المعلمين Teacher Training College؛ مقابـــل إخفـــاق إدارة الدولة لنظام التعليم الجامعي عقب الاستيلاء على الجامعات في ١٩٧١م. كما عزّز مكانةَ الكنيســـة كونها أداة اتصـــال مهمّة بالعالم الخارجي، وهكذا فقد كان للاهوت التحرير تأثيرٌ كبيرٌ على الكنيسة الكاثوليكية في الكونغو، وكان دافعاً لها للعمل على تعويض غياب الدولة[(٣)].

وقد ركزت الكنيســـة الكيمبانجوية[(٤)] Kimbanguist علـــى فكرتها بـــأنّ الكونغو هي جنّة عـــدن، وأنّ هدفها هو شـــفاء الســـود المقهورين في أنحاء العالم، وعدّت رســـالة الوحـــدة الإفريقية لإعادة بناء الهويّـــة متعمقة؛ في وعي تامٍّ بالوضـــع العام للهيمنة (الغربية)، ودفـــع الكيمبانجويينَ إلى ربط قضيتهم بقضية بقية الســـود في العالم، الذين يؤمنون بانعتاقهم جميعاً من قِبَل الربّ، ويتضح ذلك في إحدى نبوءات سيمون كيمبانجو Simon Kimbangu- التي أعلنها عام ١٩٢١م- بأنّ الأمريكيّين من أصلٍ إفريقيّ، وبقية الســـود في العالم، ســـوف يسيرون وراء خطّة الربّ ويعودون إلى إفريقيا لمساعدة القارة وإفادتها من معرفتهم ومواردهم[(٥)].

(١) Gampiot, Aurelien Mokoko, Kimbanguism: An African Understanding of the Bible, Penn State University Press, 2017, p.247.

(٢) Gyesie, Nana, the Role of Church in the Systematic Development of Political Life in the Belgian Congo From 1885-1960, A Thesis submitted to the Faculty of The School of Continuing Studies and of The Graduate School of Arts and Sciences in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Liberal Studies, Georgetown University Washington D.C, 2010, pp.31-32.

(٣) Prunier, Gérard, The Catholic Church and the Kivu Conflict, Journal of Religion in Africa, Vol. 31, Fasc. 2, Religion and War in the 1990s (May, 2001), pp.155-6.

(٤) تتبع هذه الكنيسة حركة «كيمبانجويسم» هي حركة دينية مسيحية أسسها الفرنسي «سيمون كيمبانجو» في الكونغو في عام ١٩٢١م، وهي كنيسة إفريقية مستقلة، ومقرها في نكامبا، يعتقد أتباع هذه الكنيسة أن « كيمبانجو» هو الروح القدس.

(٥) Gampiot, Aurelien Mokoko, Kimbanguism: An

ويُعترف بسيمون كيمبانجو- على المستوى الوطني في الكونغو (وفي أنجولا)- محرّراً رفَعَ الوعي القومي بين الكونغوليّين، ويعتبره أنصاره تجسيداً للربّ، ويرد ذكره مع سلفه كيمبا فيتا Kimpa Vita ضمن رواد تاريخ الكونغو في مقاومة الاستعمار الأوروبي، واتضح هذا الولاء بشكلٍ أكبر في عهد الرئيس الأسبق لجمهورية الكونغو الديمقراطية «جوزيف كابيلا» الذي وضع كيمبانجو في مكانة باتريس لومومبا ووالده لوران ديزيه كابيلا، وكان جوزيف كابيلا أول رئيس كونغولي يتصرف كرئيس كيمبانجوي تماماً، فقد ظلّ عقب انتخابه في مارس ٢٠٠٣م لمدة ثلاثة أيام في نكامبا (مقعد كيمبانجو)، ورفض الجلوس على مقعد الرئاسة قبل مكثه تلك المدة بالمعبد، وهو أمرٌ لم يفعله رئيس كونغولي سابق بالرغم من تنامي تأثير الكيمبانجوية في الحياة السياسية الكونغولية منذ عهد موبوتو. ويبدو أنّ القيادة السياسية في الكونغو في عهد جوزيف كابيلا كانت تعي أهمية الدَّوْر الذي لعبه سيمون كيمبانجو في الاستقلال الوطني.

وفي الأشهر الأولى من ٢٠٠٨م أمر كابيلا بإقامة مزار في ماتادي Matadi بالكونغو الأدنى لسيمون كيمبانجو، وسمّاه كابيلا «بطلاً وطنيّاً» في ٢٠١٠م[1]، وهكذا وظفت الدولة في الكونغو «الدين» لخدمتها على نحوٍ مطلق؛ اتفق مع رسوخ «كنيسة وطنية» عتيدة، ونزوع الكنيسة الكاثوليكية إلى تعزيز لاهوت بناء الدولة بشكلٍ عملي.

جنوب إفريقيا:

أكد ديزموند توتو، رائد «لاهوت المصالحة» في سياسة جنوب إفريقيا، في ١٩٧٥م، وجود تناقضٍ بين «اللاهوت الأسود»- المتأثر بلاهوتي التحرير والأسوَد اللذين ظهرَا في الأمريكتَيْن- و«اللاهوت الإفريقي»، مقرّراً أنه لم يكن ثمة لاهوت سلطة في مواجهة الانقلابات والحكم العسكري الذي ضرب إفريقيا. ولاحظ توتو أنّ «لاهوت التحرير» بدأ في سبعينيات القرن العشرين من تحليل اجتماعيٍّ ماركسي، يوظف تأويل الشك في النُّخب القويةٍ القائمة ومصالحها، كما كان واضحاً في حالة أمريكا اللاتينية بشكل أكبر، وطبقه الأمريكيون الأفارقة المهمشون على وضعهم العِرْقي في الولايات المتحدة، بينما رفع قادة الكنائس السوداء في جنوب إفريقيا لاهوتهم الأسود ولاهوت التحرير إلى درجة مواجهة اللاهوت المحافظ السائد بدرجاته المختلفة في النضال ضدّ الفصل العنصري، ومع إيلاء نيلسون مانديلا اهتماماً بإظهار العفو عن مناوئيه السياسيّين؛ أصبح لاهوت إعادة البناء والمصالحة ظاهرةً جديدة في جنوب إفريقيا[2].

وبينما حرص نيلسون مانديلا على الرفض الحذر لاستخدام «الدين» في المجال العام، كما تحاشى الإشارة إلى تقليد دينيٍّ محدّد، فإنّ خلَفَه تابو مبيكي أظهر قدراً أكبر من الاهتمام بتوظيف «الدين» في السياسة، وأعرب في ٢٠٠٣م عن الاقتداء بالكتاب المقدّس في الحياة السياسية؛ عبر مقالٍ له نُشر في جريدة ميل آند جارديان، واستخدم مجاز الصيد (متى ٤: ١٩) الذي ذكره المسيح لسمعان بطرس وأخيه أندرو عند صيدهما في بحيرة الجليل، ودعوتهما لاتباعه ليكونَا صائدَي بشر (دعوتهما للإيمان)، وأكد مبيكي وجود صيادين في جنوب إفريقيا «للبشر الفاسدين»، وأنّ نظام حكمنا هو البحر الذي اختاروا أن يمارسوا مهنتهم فيه. وتكررت الاقتباسات من الكتاب المقدّس في خطب مبيكي، سواء من نسخة الملك جيمس بالإنجليزية[3]،

African Understanding of the Bible, Penn State University Press, 2017, pp.247-8

(١) Ibid. pp.229, 246.

(٢) Knighton, Ben, Issues of African Theology at the turn of the Millennium, Transformation, Vol. 21, No. 3, Church and Context, With a Focus on Europe (July 2004), pp.151-2.

(٣) وهي نسخة ثار حولها جدلٌ كبير في دراسة منسوبة لإسحاق نيوتن، حملت عنوان: An Historical Account of Two Notable Corruptions of Scripture، ظهرت في نهاية ق١٧، وتعلق الجدل أساساً بتفسير نصوص قليلة مهمّة، تتعلق بطبيعة السيد المسيح وفكرة الأقانيم الثلاثة والتجسيد. وقد ثار نزاعٌ بين الكاثوليك والبروتستانت حول استخدام هذه النسخة طوال ق١٩، واعتبرها الكاثوليك "نسخة طائفية" تعمد لإظهار الكاثوليكية على أنها «عدو الإنجيل». انظر: Fessenden, Tracy, The Nineteenth-Century Bible Wars and the Separation of Church and State, Church History, Vol. 74, No. 4 (Dec., 2005), p. 792.

أو ترجمة الكتاب المقدّس للغة الإكسوزا الوطنية[١].

ومالت معظم الكنائس الإفريقية والأوروبية في جنوب إفريقيا عقب عام ١٩٩٤م إلى تعزيز دَوْر الدولة (إعادة البناء) والسلم الاجتماعي (المصالحة)، وهو ما تمثّل في محافظة الكثير من المنظمات الكنسية (كمجلس كنائس جنوب إفريقيا SACC، ومؤتمر أساقفة جنوب إفريقيا الكاثوليك SACBC) على رؤية اجتماعية مفادها: تجنّب انتقاد طرفي نقيض ما اصطُلح على تسميته «بشرور رأسمالية «دعه يعمل» والاشتراكية الغوغائية Demagogic socialism»، ولا تتحفظ هذه الرؤية في تقديم تقديرٍ خاصٍّ للفقراء من خلال التفضيلات العِرْقية (بمعنى إعلاء الانتماء العِرْقي تعويضاً للحرمان الاقتصادي والجندرية[٢] بسبب تهميشهم، وليس لدوافع سياسية أو أيديولوجية. كما تُعلي من أفكار الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان، وذلك حسبما أكدته مؤتمرات كنسية، مثل: Cottesloe II و Kairos II، من ضرورة التزام الكنائس الرسولية بالقضاء على القمع العِرْقي والاقتصادي، ودعم السير نحو ديمقراطية حقيقية[٣].

كينيا:

أما في كينيا؛ فقد تصاعد دَوْر رجال الدين والكنائس في البلاد مع مطلع التسعينيات، وكان في مقدمتها الكنيسة الإنجيلية لإقليم كينيا Anglican Church of the Province of Kenya، وكنيسة شرق إفريقيا المشيخانية Presbyterian Church of East Africa، والكنيسة الميثودية Methodist Church، والتي تحدّث بحضور إعلاميٍّ كبير عن موضوعات حساسة متعلقة بالأحوال السياسية والاقتصادية في كينيا، وكانت تنتقد -بشكل علني- تزايد التفاوت داخل المجتمع الكيني، ولم تتردد في انتقاد السياسات التي تبنّاها الاتحاد الوطني الإفريقي الكيني KANU- طوال عقد الثمانينيات ومطلع التسعينيات- لتقوية مركزه في السياسة الكينية. واكتسبت مواقف الكنائس أهميةً نظراً لنفوذها الكبير داخل المجتمع، سواء في المناطق الحضرية أو الريفية، ويرى البعض أنّ الكنيسة أصبحت بذلك صوت ضمير الجموع الكينية.

وكان من اللافت ربط تيموثي نجويا Timothy Njoya (من الكنيسة المشيخانية في نيروبي) عشية العام الجديد في ١٩٨٩م بين سقوط الديكتاتوريات في أوروبا الشرقية والوضع في إفريقيا، وأنّ سقوط نُظُم الحكم الشيوعية في أوروبا الشرقية يجب أن يكون مثيراً للاهتمام في إفريقيا؛ حيث يسود نظام الحزب الواحد الذي فشل فشلاً ذريعاً في التحول للديمقراطية، ومن ثَمّ يجب أن يحلّ محلّه نظام التعددية الحزبية. وكان للخطبة صداها؛ إذ سارع نائب الرئيس الكيني البروفيسور جورج سايتوتي G. Saitoti، والسيد أولوو أرينجو Oloo Aringo رئيس «كانو»، بالدفاع عن نظام الحزب الواحد في كينيا بأنه: نظامٌ له جذورٌ عميقة في إفريقيا وليس مستمدّاً من أوروبا

(١) Gerald West, The ANC's deployment of religion in nation building: from Thabo Mbeki, to "The RDP of the Soul", to Jacob Zuma (in: Masiiwa Ragies Gunda & Joachim Kügler, editors, Bible in Africa Studies) Bible in Africa Studies, University of Bamberg Press 2012, pp.116-7.

(٢) يشير جوديث شيبر Judith Shapire للجندر بأنه: «موروث ثقافي له علاقةٌ ما بالاختلاف البيولوجي بين النساء والرجال»، وتؤكد إدا بلوم Ida Blom أنّ «الجندر» بناءٌ تاريخي وليس معطى بيولوجيّاً، وأنّ تحليل «الجندر» ركز في البداية على نوع واحد وهو النساء، وعمل بالأساس على خدمة قضية تذكر التجاربَ التاريخية للنساء. ولم تحقق الكلمة حدوداً دلالية (في المعنى)، أو استخداماً بنفس المعنى في السياقات المختلفة. ومن ثمّ؛ فإنّ «النوع» gender عبارة عن بناء استطرادي وناتج عن تمثيلات ثقافية وسياسية واقتصادية ورمزية. وإجمالاً: فإنّ «الجندر» بوصفه أداةً تحليلية وتوضيحية مفهومٌ هلامي، يفتقر إلى أية قيمة تحليلية؛ نظراً لأوجه الغموض التي تلتبسه. والواقع: أنّ تعريفه يعتمد على المحددات الثقافية، والتي تنزع عنه أيّ قدرٍ من التماسك والشمول المطلوبَيْن لأي تحليل اجتماعي واسعِ النطاق. انظر:
Ruma, Mustapha Bala, the Concept of - Gender: A Myth or Reality? Taguwa (the Journal of Humanities), Vol. 3, No. 1, November 2013, pp.27-31.

(٣) Kuperus, Tracy , Building Democracy: An Examination of Religious Associations in South Africa and Zimbabwe, The Journal of Modern African Studies, Vol. 37, No. 4 (Dec., 1999), p.658.

الشرقية، وأنّ الأحداث الجارية في شرق أوروبا لا يمكن أن تقارَن بالوضع في إفريقيا[١].

غانا:

وفي غانا (حيث يشكّل المسيحيون أغلبية السكان بنسبة ٦٢,٦٪ في مطلع تسعينيات القرن الماضي) مالت الكنيسة إلى ممارسة الدَوْر الاحتجاجي أكثر من العمل على شرعنة الوضع القائم في ثمانينيات القرن الماضي، ورأت الكنيسة الاحتجاج أداةً مهمّة لإحداث التغيير الاجتماعي. وأكدت الكنيسة أنّ الجيش الغاني هدّد بقوة الحريات المدنية، كحماية حقوق الإنسان، والاهتمام بالفقراء، وحرية الصحافة، ومن ثَمّ تولت الكنيسة الغانية دَوْراً ثنائيّاً؛ تمثّل في إصرارها على دَوْرها الرسولي (أي كناقدٍ اجتماعي للأوضاع القائمة) في المحيط السياسي وتحدي العنف العسكري. وهكذا؛ كانت المشاركة السياسية المسيحية الغانية تقوم أساساً على قضايا العدالة الاجتماعية، وقامت الكنيسة بتوجيه الغانيّين حول حقوقهم المدنية والمشاركة في العملية الديمقراطية، وإن كان لوحظ تفادي الكنيسة- خلال هذه المرحلة- السياسة الحزبية.

واتسمت الثمانينيات بتصاعد النشاط السياسي بين غالبية المسيحيّين في غانا، وقد رفضت الكنيسة- باستمرار- مطالب الحكومة لها بالابتعاد عن السياسة، ورأت الكنيسة أنّ المسيحيّين لديهم الحقّ المطلق في المشاركة في العملية السياسية، وإعلاء أصواتهم بخصوص السياسات الاجتماعية كأفرادٍ أو جماعات[٢].

خاتمة:

من خلال المقاربات المختلفة لدَوْر الكنيسة في الدولة الإفريقية وعلاقتها بها؛ نجد أنّ:

- كثيرين رأوا حاجة إفريقيا إلى عدم اتباع النماذج الدينية للعالم الأول، وأنها تحتاج إلى اتباع نماذجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

-كما أنّ وجود لاهوت التحرير واللاهوت الأسود واللاهوت الإفريقي؛ دلّ على حدوث انفصالٍ إفريقيٍّ عن اللاهوت الكلاسيكي بالفعل.

-تركّز الاتجاه اللاهوتي في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات على ما عُرف بلاهوت بناء الدولة، أو إعادة البناء في تعريفات أخرى، وفيما يُعَدُّ تجاوزاً لهذه الرؤية «الكلاسيكية» لدَوْر الدين في الدولة أو المجتمع الإفريقي؛ خرج لاهوت التحرير الإفريقي والأسود بمختلف تياراتهما من واقع الانفصال عن هذه الرؤية.

- وقد سعت هذه التيارات- في سياق محاولة استكشاف فهمها للمسؤولية «الدينية- السياسية» للاهوت- التعلّم من أخطاء اللاهوت التقليدي- من وجهة نظرها-.

- رأت فكرة «ثورة الربّ» Revolution of God التي دعَا لها كارل بارث Karl Barth ضرورة تأكيد «رؤية قائمة على «النظرة الأُخروية» eschatological vision، والتي تتطلب أكبر ثورة بشرية يمكن القيام بها»، وضرورة استمرار التجديد الاجتماعي في «لاهوت بناء الدولة»، أو بمعنى آخر: استخدام اللاهوت في إعادة بناء مؤسسات الدولة. وأنه من المهم للكنيسة (إن أرادت معاملة اللاهوت بجدّية داخل المجال السياسي، وخاصّةً خلال فترة إعادة البناء السياسي) قبول الإسهام في عملية إنتاج مقترحات محدّدة للتعامل مع المشكلات الاقتصادية والسياسية المعقدة.

- تناولت المسيحية الواقعية لرينولد نيبور Reinhold Niebuhr هذه القضية بدقةٍ كبيرة، ورأى أنه في عالم السياسة الواقعي تكون هناك حاجةٌ لتسويات سياسية محسوبة، وأنّ اللاهوت السياسي يجب أن يتمّ في سياق هذه القناعة.

---

(١) Thomas-Slayter, Barbara P. Class, Ethnicity, and the Kenyan State: Community Mobilization in the Context of Global Politics, International Journal of Politics, Culture, and Society, Vol. 4, No. 3 (Spring, 1991), pp. 315-6.

(٢) Yirenkyi, Kwasi, the Role of Christian Churches in National Politics: Reflections from Laity and Clergy in Ghana, Sociology of Religion, Vol. 61, No. 3 (Autumn, 2000), pp. 335-6.

- وسُميت هذه «التسويات» بـ«الواقعية المسيحية»، التي تمّ استيعابها سريعاً، ووصفها جون كولمان John Coleman بـ«الواقعية الإمبريالية».

- لم تحظ «الواقعية السياسية» التي طرحها نيبور بقبـــولٍ في إفريقيا؛ لأنها كانت تحتاج إلى «لاهوت بناء دولة» من نوعٍ آخر.

- أنّ التّســـويات السياســـية «المحســـوبة» التي كانت تريدها الكنيســـة في إفريقيا- افتراضاً- ليست للحفـــاظ على النظام القائم أو إصلاحه، ولكن لتغييره راديكاليّـــاً، وأنّ إفريقيا تحتاج إلـــى لاهوتٍ لا يحفظ الوضع القائم عقب اســـتقلالها، ولا أبنية الاســـتعمار الجديد التي خلّفها الاســـتعمار، بل إنها كانت بحاجة إلـــى لاهوتٍ يعـــزّز مواردها الماديـــة والأيديولوجية؛ بوصفها ضرورةً لتيسير نقل الموارد والسلطة من القلة (الأغنياء وذوي النفوذ) إلى الكثرة (الفقراء والمهمّشين في بنية السلطة)[(١)].

- باختصارٍ شـــديد: أكد اللاهوت الإفريقي- في الغالب- الجوانبَ الجماعيـــة أو الاجتماعية للخلاص بوصفهـــا عمليةً للتوفيق أو المصالحة مع الربّ، والتي تحقق بدَوْرها التعافي التام[(٢)].

- بـــدَا أنّ الحركات الديمقراطية التي ظهرت في إفريقيـــا، بدءاً من ١٩٩٠م، قد شـــكّلت تحدّياً للصورة النمطية للمجتمع الإفريقي الســـاكن وغير المكترث، وخلال أشـــهرٍ انتشـــرت موجةٌ شـــعبية من النشاط الديمقراطـــيّ في أنحاء إفريقيا، مشـــابهةٌ لما تمّ قبل أشهرٍ في أوروبا الشرقية، وتمثّل دَوْر الكنيسة في هذه الموجة في بنين- على ســـبيل المثال-، عندما شاركت قيادات دينية في المؤتمر الوطني الذي عُقد في فبراير ١٩٩٠م، وأدى لإســـقاط نظام ماثيـــو كيريكو، وكانت تجربـــةً ملهمةً لدولٍ أخرى عقدت مؤتمرات وطنية بها وأحدثت تغييراً (خلال الفتـــرة ١٩٩٠-١٩٩٤م عُقدت مؤتمرات وطنية ناجحة في: بنين والكونغو وكيب فيرد وزامبيا وجمهورية إفريقيا الوسطى والنيجر ومدغشقر ومالـــي وجنوب إفريقيا وبوروندي ومالاوي؛ أســـفرت عن انتخاباتٍ رئاســـية تعددية، جاءت برؤســـاء جُدد للسلطة)[(٣)].



مالت معظم الكنائس الإفريقية والأوروبية في جنوب إفريقيا عقب عام 1994م إلى تعزيز دَوْر الدولة (إعادة البناء) والسلم الاجتماعي (المصالحة)

- في المقابل؛ اعتبر نقّاد للكنيسة ودَوْرها: أنّ من أهمّ نتائج تقييم هذا الدَوْر في إفريقيا وجود شـــكوك مستمرة إزاء دَوْر الكنيسة؛ باعتبارها- نوعاً ما- غريبة وتغريبية، وغير مساعدة في التعامل مع قضايا الهويّة السياسية والثقافية الإفريقية[(٤)] ■

(١) Villa-Vicencio, Charles, Towards a Theology of Nation-Building: Church and State in Africa Today, Journal of Church and State, Vol. 32, No. 8-4 (AUTUMN 1990), pp.857.

(٢) Asamoah-Gyadu, J. Kwabena, United Over Meals Divided at the Lord›s Table: Christianity and the Unity of the Church in Africa, Transformation, Vol. 27, No. 1, Special Issue: The Global Christian Forum (January 2010), p.23.

(٣) Longman, Timoty Paul, Christianity and Crisis in Rwanda: Religion, Civil Society, Democratization an Decline, a thesis submitted to the Graduate School of the University of Wisconsin-Madison in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, 1995, pp.2.

(٤) Bediako, Kwame, De-sacralization and Democratization: Some Theological Reflections on the role of Christianity in nation-building in modern Africa, Transformation, Vol. 12, No. 1, SEX, MONEY AND POLITICS (MARCH 1995), p.10.